التقوى
في معيار القرآن

التقوى من الإيمان قطب رحاه :

لذلك أمرنا الله سبحانه وتعالى بالتقوى ، كوظيفة أولى للإيمان ، يتقدم بها الإنسان ، فيتحول معه الإيمان ، من شعاع باهت ، وذبالة تتراقص ، إلى قوة بانية ، وطاقة محركة .. يقول الحق جل وعلا :

﴿ قُلْ يَا عِبَادِ ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (الزمر: ١٠) .

إننا هنا لم نؤمر بالإيمان ، بعد أن خلعت علينا العبودية ، وكأن العبودية خِلْقة ، تتعانق مع الإيمان فطرة ..

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ... ﴾ (الذاريات: ٥٦) .

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ... ﴾ (الروم: ٣٠) .

لقد أمرنا هنا بتحصيل التقوى ، وهي الصورة العملية الراشدة ، للعقيدة يدين بها الإنسان .. والتقوى هنا ذات مفهوم مشرق معطاء ، لا تتراخى بصاحبها ، ولا تتقاعس بهمة الكبار ، بل تنطلق به بحَّاثة جوَّابة نحو الفضائل والمكرمات ، يحرسها صوت الدين ، ويحدوها نداءُ ربِّ العالمين ... فتفتح له باب الإحسان ، بل إن شئت فقل : **إنها تحفِّزه ليثب إلى قمته ، ليُفرغ في ميدانه مواهب الإبداع الرباني** ، ويضع الحياة على أعتاب الإيمان ، في تلاحم قادر ، وانصهار بناء ...

﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ... ﴾

تُرى !! هل ترضى منك التقوى ـ في معيار القرآن ـ أن تذلّ وتستسلم لواقع ضاغط مكبوت ؟؟ **كلا** ... وإلا تحولت إلى تمزق نفسي رهيب ، يطيح بكبرياء الإنسان ، ويهيل على كرامته التراب .. **والتقوى ليست هكذا في لغة الإسلام ، إنها حركة رافعة ، ثائرة ـ دوماً ـ على الفساد والظلم ، تفتح أمام الإنسان أبواب الترقي ، وتصعد به إلى مجالات الكمال ، وتغزو به مواطن العزة والسيادة** ... أما إذا حالت بين الإنسان وبين التحليق إلى هذه الآفاق الزاكية : موانع زمانية أو مكانية .. فإن **التقوى** هنا : يكون لها دورها : ﴿ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَاسِعَةٌ ... ﴾ .

إنها ليست حركة ضعيفة باهتة ، ترضى بالدون ، أو تقنع بالفتات .. كلا ... **إنها مدٌّ زاحف** ، ومواكبة جادة ، لمعالي الأمور ، وعظائم الشؤون ..

فإذا هانت الإنسانية بأرض أنت فيها ، وضيّق عليك في دينك ، ورأيت القيم والمبادىء محجور عليها ، وشاهدت الضياع الأخلاقي تكثر نواديه ... **فلا عذر لك في البقاء** ... حيث يخفت صوت الحق ، ويعلو نعيق الشيطان ... **لأن التقوى سلاحُ عزة ، لا ذلّ معه ، وَوَهَمَ قوم حسبوا انها :**

بقلم : د. عبد الفتاح محمد سلامه

■■ عندما يضع الإنسان جوارحه التي أبدعها الله : في قوالب متحجرة ، تشل حركتها ، وتفقدها فاعليتها ... فإنه بذلك يعطِّل وظائفها ، ويجمد دورها ، فتصبح عديمة الجدوى ، لأن دورها الفاعل قد سلب منها ، وأبدلت به عجزاً صارخاً ، وضعفاً مشيناً .

وإذا كان هذا المقياس يسري ناموسه على الوظائف العضوية للمرء ، فإنه يمكن أن يكون ضربة لازب ، لحركة الإيمان المتمدِّدة في كيان الإنسان ، فإذا تقوقع الإيمان وجمُد ، وتخاذل في نفس صاحبه عن أن يصنع سلوكاً ، تتقدم به الحياة وتسعد ... وإذا ما فقد حامل الإيمان القدرة على خوض المواقف ، ومواجهة التيار العاصف .. فإن معنى ذلك كله أن الإيمان في هذا الكيان الهزيل ، قد توقف عن الحركة ، وفقد دوره الإيجابي في معترك هذا الوجود ...

وما أكثر الذين يعلنون عن إيمانهم ، وما أكثر الذين يزدحمون على أبوابه !!! لكن عندما يوضع ذلك الإيمان على محكِّ الاختبار ، بأن نلتمسه أمانةً في المتجر ، وجودة في المصنع ، وإخلاصاً في الدرس ، وتضحية في الأزمات .. فإن هذه النسبة الساحقة سوف تنحسر نحو الصفر إن لم تكنه !!! ■■

تواكل وانطواء ، ورضا بالأوضاع كيفما تكون ، حتى ولو كانت معاناة تحت مطارق الهوان ... كيف وقد قال الله تعالى في أمثالهم : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ ٱلْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي ٱلأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً ... ﴾ (النساء:٩٧) .

والمسلم التقي : يعتبر أرض الله كلها وطناً له ، ما عزَّ جانب الدين ، وخضعت الحياة لسلطان العقيدة ، والمؤمن قد يجد نفسه غريباً في مسقط رأسه ، وهو بين أترابه وجلسائه ، لأن الحياة - وقتئذ - بعيدة عن معناها السامي ، شاردة عن طريقها السديد .. فهي ظلمات تضرب في ظلمات :

﴿ أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي ٱلنَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي ٱلظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ... ﴾ (الأنعام:١٢٢) .

الصبر سلاح التقوى :

والمسلم التقي - كذلك - يحتاج إلى جرعات وجرعات ، من الصبر الحازم ، والعزم الصارم ، حتى يتخطى العقبات الكأداء ، ويعبر جسور المشقات ، ليحظى بعد ذلك بالراحة الكبرى ، راحة الأُنس بالله ، والاحتماء به ، والحياة في كنفه ، بعيداً عن دنيا العبث ، ومتاهات السقوط ...

ولذلك فمن لوازم التقوى : أن يتحدث الله سبحانه عن الصبر في سياقها :

﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ... ﴾ .

والمتقون بهذا المفهوم القرآني الوضيء ، مسدَّدُون في طريقهم ، لأن أنفسهم موصولة بالحق ، فلو عرض لها عارض من الشيطان ، تلوذ عائذة إلى مقرها ، فلا تنفصل عن عهدها ... فإن لها من دقة الكشف ، وجلاء البصيرة ، ما يثبتها على المنهج ، ويرشدها إلى الغاية ..

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ... ﴾ (الأعراف٢٠١) .

تلكم سمات التقوى في القرآن ، حركة جسور ، لصنع المسلم الحقيقي ، الذي يتمرد على الذل ، ويستعصي على الهوان ، ويرفض الاتكالية والعجز ، وينطلق في الحياة شامخاً بدينه ، معتزاً بعقيدته ومبادئه ، يحرث الحياة بالخير ، وينميها بالمعروف ، ويعمق فيها لأصول الحضارة ، بعيداً عن مهاوي الضياع ، ومفادح الإحباط ...

وأن تكون له في محمد ﷺ أسوة حسنة .. فلا يكتفي بالدعوة المجردة إلى الخير - بلسانه - بل يحملهم عليها بعمله أولاً ..

إن خطبة بليغة ... رائعة ... أفضل منها عمل واحد ... تراه العين .. ويسجله التاريخ ..

اللهم آتِ نفوسنا تقواها وزكها أنت خير من زكَّاها ، أنت وليها ومولاها .